

## خواطر جنين

أسماء صلاح الدين  
مصر

لم يعد بيني وبين تلك المرأة إلا هذه اللحظات الفارقة في العلاقة بيننا، هي آخر ما عشته من عمر بين أحشائها وضلوعها، عرفت خلالها نموذجاً من العطاء لم تعرف الحياة مثله؛ فكانت تبعث إليّ بإشارات حب دافق عبر دقات قلبها الدافئ.

إيه.. ما تلك العاطفة التي لم تحتل مشاعري استقباليها، فكيف بمن حملتها إليّ؟ ما تلك العاطفة التي لم يكن لصاحبيتها عهد بي إلا منذ شهور تسعة حين خفق شيء في أحشائها فدق قلبها من حينها اشتياقاً إليّ وحيناً؟! وهاهي قد حان وقتها الآن.. وبإلها من لحظات غريبة جمعت بين عذابات الآلام وعذوبة قرب اللقاء...

هي حكمة بالغة، ولا شك في هذا الموقف تستوقفني...

حقاً هي لحظات فارقة في حياتي، فإني قد عرفت الدنيا قبلها في مرآة قلب تلك المرأة ونبضها، وبعدها أعرفها من مرآة سمعي وبصري وفؤادي، كم أنا مشتاق إليك سيدتي، ومشتاق إلى ذلك الشريك الذي تقاسم معك مجيئي إلى هذه الحياة.

وكم تشغلني وراء ذلك تلك الحياة التي أنا قادم إليها، من ساكون فيها؟ وكيف أكون فيها؟ وكيف تكون شمسي وقمري... ٩٩٩

الله... الله... لقد انطلقت الآن من عالم غيبي إلى عالم شهادتي، وبإلها من بدايات مشرفة، فتلك أمة قد ضمنتني إلى صدرها ضمة حنون، وذاك أبي طيب القسّمات، كان أول عهدي به أن وضع ميثاق الأذان عن يمين سمعي، وعهد إقامة الصلاة عن يساره.

يا لله! ما أبدعه من حسن وجمال!

هل عباقرة الدنيا وجهابذة العلم والفن والجمال قادرون على أن يأتوا بمثل هذا أو قريباً منه؟ ولو وريقة واحدة منها تفوح مثلها عطراً وتميس جمالاً، وتموج حياة! لا والله! وسرعان ما استغرقت في تأمل عميق.. وتسائل شديداً!

- هل هذا - حقاً - من فعل الطبيعة الخرساء - كما يدعون؟

- هل هذا - حقاً - من فعل هذه الأرض الجرز..!؟

- هل هذا - حقاً - من فعل هذا الطين اللازب؟

- وهل يقبل عاقل، مثل هذا الهراء؟

وأبي هراء يموج في عقول هؤلاء القوم؟ يدفعهم إلى الإلحاد ثم الضلال..!

مَنْ مِنَ الخلقِ يجرؤُ على أن يقدم تفسيراً آخر للحياة غير أنها من صنع حكيم خبير؟!..

اللهم إلا الحمقى من البشر، الذين يحاولون إقناع أنفسهم السقيمة - دون جدوى - بترهات لا تستند إلى علم أو يقين.. فيتمرغون في عالم من الوهم والخيال بعيداً عن الحقيقة، لا يقر لهم قرار..

وفي غمرة هذه التأملات.. وأنا أستشعر عظمة الخالق عز وجل، إذا بصوت عذب يتهادى مع النسيم، فيملأ جنبات الكون جلالاً وخشوعاً يقطع شريط هذه التأملات.. فالتفت أصغي..

إنه الهتاف الخالد، ينتشر من تلك القبة السامقة وهي تعانق الفضاء شامخة رغم المحن وعودي الزمن، فيردد الكون صدها إلى الأبد..

إنه نداء الحق والإيمان.. نداء الفوز والفلاح.. الله أكبر، الله أكبر

وسرعان ما تراءى لي من خلال هذا النداء العذب، هذه المروج الخضراء والبساتين الفيحاء وقد أضحت حطاماً يابساً، وهشيماً تذروه الرياح.. رياح الخريف، وقد نصب ماؤها، وانقطع عبيرها، وأضحت في الأموات ولا حياة!.

ثم بدت لي الحياة على حقيقتها، وقد تخلت عن زخرفها البراق، آلت بساتينها ومروجها الخضراء إلى ما آلت إليه، هشيماً تذروه الرياح.. وكأنها لم تكن يوماً ما!.

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب ﴾ الزمر. ■